Coptology

ϨⲁⲛⲱϢ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

العلاقة الزوجية
وعلاقة المسيح بالكنيسة

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

يسوع المسيح إلهنا الذي أقامنا من فساد الموت، يكلل حياتَكَ، ويرفعها إلى أمجاد السماء، حيث الآب السماوي الذي فتح أحضانه الأبوية، أي ابنه الوحيد الكائن في حضن الآب، وجاء وأخبرنا بالمحبة الأزلية التي كانت تراقب الدهور في انتظار الملء، وهي هذه المحبة التي يقدِّمها لنا الثالوث الأقدس، يا ليتنا نعيش لها وفيها، فهذه هي السماوات بعينها[١].

قرأت رسالتك ودُهشت لما جاء فيها، ذلك أنني لا أعتقد بأن الكنيسة قد وضعت قوانين تمنع العلاقة الجنسية قبل التناول، وهذا ما أُقرره بعد دراسة جيدة لكل قوانين الكنيسة. وهناك فرقٌ بين ما تشجِّع عليه الأُم، وما تحرِّمه الأُم، وأنا أعني بالأُم هنا، الكنيسة الجامعة.

يا أخي المحبوب: إن كلَّ ممنوعٍ قبل التناول، هو بكل يقين ممنوعٌ أيضاً بعد التناول. قبل الاتحاد بالمسيح، وبالكنيسة في الإفخارستيا، نحن نتوب، وكل ما نتوب عنه لا يجوز أن نعود إليه، ولذلك لا يمكن أن نضع الطعام والعلاقات الجنسية والأحاديث وانشغال العقل ....إلخ ضمن المحرَّمات، لأنها ليس محرَّمة، فلا حرام ولا حلال في المسيحية على الإطلاق، بل يوجد ما يصلُح ويوافق –حسب تعبير الرسول– وما لا يصلُح ويوافق، وقاعدة التمييز هنا هي درجة محبتنا لله.

العلاقة الزوجية ليست علاقة جنسية. هذا عكس ما يكتبه بعضُ المسيحيين اليوم تحت تأثير الأفلام والكتب الرخيصة، وفقدان رؤية **المثال الصحيح لعلاقة الرجل والمرأة، أي المسيح والكنيسة**. ولكننا، وفي إطار هذا المثال الكامل، أي ذلك السر العظيم، اتحاد المسيح بالكنيسة، يمكننا أن نفهم لماذا يليق بنا نحن الذين نحيا في ظل هذا

(١) رداً على رسالة لأحد الأحباء.

النموذج الإلهي أن نمتنع عن المعاشرات الزوجية، وأن نعود إليها، بل ما هي أسـباب الامتناع، وما هو طريق العودة إلى المعاشرات الزوجية بعد أن نكون قد نلنا اسـتنارةً من هذا النموذج الإلهي، أي المسيح والكنيسة، ولا سيما في سر الإفخارستيا.

إنَّ ربنا يسوع له المجد، عندما تجسد كان يهدف إلى أن يكون واحداً معنـا، وأن يكون واحداً فينا. وبكلمة "**معنا**"، ندرك حضوره في وسطنا، أمَّا "**فينـا**"، فهـي تعني اتحاده بكل شخص منَّا. هذا الاتحاد هو الذي يكوِّن الكنيسة الجامعة. وهو أيضاً الذي يجعل هذه الكنيسة، جسده الواحد. فالكنيسة ليست سـوى جسـد المسـيح الواحد. ولأهمية الكلام عن الجسد الواحد، أكَّد القديس بولس هذا التعبير، لـيس في مواجهة الانشقاق فقط، بل أيضاً في مجال الكلام عن غاية الحياة المسيحية، وهي تآلف كل الأعضاء لتكوِّن في النهاية الجسد الواحد.

وعندما اتَّحد الرب يسوع المسيح بنا، أي عندما أخذ جسداً مثل جسدنا من العذراء مريم، فقد كان يريد أن يعيد إلينا هذا الجسد المُتَّحد بلاهوته، لكي يجمع حوله كل الذين يقبلون الإيمان، وصار بذلك مثل الخميرة التي تخمِّر العجين كله. على هـذا النحو السِّري ينتشر المسيح فينا بلاهوته وناسوته، ويجمع في وحدة واحدة كل المؤمنين به. هذا السِّر العظيم شرحه الرسول بولس في تتابع الإصـحاحات ١٢ - ١٤ مـن رسالته الأُولى إلى كورنثوس، وعاد إليه في مواضع معروفة بارزة في رسائله الأُخرى.

يجب أن نسأل: إذا كانت وحدتنا بالمسيح هي أعظم من اتحاد أعضاء الجسد الواحد (١كو ١٢: ٢١)، فهل يتم هذا الأمر مرةً واحدة، وهل يحدث هذا بشـكل أوتوماتيكي؟ والسؤال يمكن أن نقوله بصورة أُخرى لاهوتية: لماذا نتناول كـل يـوم أحد، مع أن التناول مرةً واحدةً يكفي؟ هذه الأسئلة سمعتها أكثر من مرة، وهذا يعـني أن سر المسيح والكنيسة ليس معروفاً بالشكل العقيدي الصحيح، بل لقد سألني البعض منذ أكثر من ثلاث سنوات: إذا كانت الكنيسة جسد المسيح، فكيف تأكل الكنيسـة المسيح، هل تأكل الكنيسةُ جسدها؟ وأضاف واحدٌ سؤالاً آخراً: إذا كانت الكنيسـة

جسد المسيح ونحن أعضاء هذا الجسد، فكيف نأكل بعضنا البعض؟

إن مثل هذه التصورات لا تصدر إلا عن عقلٍ لا يعرف عقيدة الكنيسة، ولذلك يجب أن نعود إلى كلمات الرسول بولس نفسه، حتى لا نُتهم بأننا نعلِّم الناس الافتراء، وحتى لا نتهور في الرد على الذين لا يفهمون. يقول الرسول بولس: إن الرجل هو رأس المرأة، لأن المسيح هو رأس الكنيسة (أف ٥: ٢٣)، وطبعاً الرأس من الجسد، ولا رأس بلا جسد، كما أنه لا يوجد جسدٌ بلا رأس. نحن هنا لا نتكلم عن الدماغ، أي الجمجمة بما فيها، وإنما نتكلم عن الوظيفة التي يؤديها الرأس، وهو مرتبط بمعنى الخضوع. هذا الخضوع لا يمكن تذوُّقه بشكل صحيح إلا في إطارٍ واحد، وهو المحبة الصحيحة. لأن ما هو خارج المحبة مثل التسلط وحب الرئاسة والقهر، هو ما أشهره المسيح وفضحه بالتجسد والصليب.

ويقول الرسول بعد ذلك: "إن المرأة هي جسد الرجل" (أف ٥: ٢٩)، ومثال ذلك هو المسيح والكنيسة. فقد أخذنا كياننا الجديد من المسيح، من لحمه ومن عظامه (أف ٥: ٣٠)، تماماً مثلما خُلِقت حواء من لحم وعظام آدم. فهي كانت بلا وجود حتى تحنن الرب على آدم وصنع له شريكاً ومعيناً، ولم يكن من تراب الأرض، بل منه هو لدلالته على الاتحاد العظيم والمطلوب من خلق حواء. هنا المحبة فقط هي التي تميِّز معاني الكلمات: المرأة من لحم الرجل وعظامه. وهذا الامتداد يعني كياناً آخر، هو من كيان الرجل، ولا يختلف عنه في الطبيعة. لكن هذا الكيان الذي له نفس الطبيعة، خاصٌّ بشخصٍ آخر هو المرأة. **هنا الطبيعة واحدة والشخصية مختلفة. بذلك تصبح الوحدة الطبيعية هي قاعدة الاتحاد. أي أن الاتحاد على مستوى الطبيعة موجود، ولكن الذي يجب أن يتحقق هو الاتحاد على مستوى الإرادة والمحبة، وهو أن يصبح الرجل والمرأة جسداً واحداً** (أف ٥: ٣١). وأعتقد أن المشكلة التي تحيِّر البعض هي عبارة "جسد واحد". فالمقصود منها بكل دقة "شخص"، وليس الوحدة البيولوجية، فهي أصلاً لا تفيد بالمرة، لا سيما في حالات انعدام المحبة. **يصبح الرجل والمرأة جسداً واحداً، رغم أنهما أصلاً وحسب الكلام السابق، جسداً واحداً، ولكن ما يتحقق**

هنا هو أن يصبح الجسد الواحد ليس "وحدة طبيعية"، بل "وحدة شخصية". هنا يتداخل الخلق والخلاص في وحدة واحدة. لقد خلق الله الرجل ثم خلق المرأة من جسد الرجل، أي من لحمه وعظامه لكي تعود المرأة إلى الرجل ويتحد الرجل بالمرأة، ويصبح الجسد الواحد هنا الوحدة الكاملة التي تتحقق. هذا لا يتم بالقانون أو بالقوة، بل بالنعمة وفي المحبة وحدها. ويمكن أن نقول إن الجسد الواحد حسب الطبيعة، يصبح كذلك فعلاً، في تجلي المحبة وبهاء سريٍّ Mystical فائق، تظل يد الرجل غير يد المرأة، ورأس الرجل غير رأس المرأة، ولكن مع ذلك كلاهما بقلبٍ واحدٍ وإرادةٍ واحدةٍ، ومع وجود رأسين وأربعة أيادٍ ....الخ حسب الظاهر. إلا أن الحقيقة الواضحة هي أن الاثنين صارا واحداً. وهنا يجب أن نقول **إن هذه الوحدة العظيمة ليست مضادة لعمل الخلق، ولكنها محقِّقةٌ لعمل الخلق، وهذا ما يقصده الرسول من الكلام عن الجسد الواحد، وكأننا أمام السر العظيم، نرى بوضوح كيف تتحول الطبيعة الإنسانية من لحمٍ ودم إلى وحدةٍ روحية قوامها اللحم والدم،** ولكنها أعظم بكثير من كل قوانين اللحم والدم؛ لأن هذه القوانين -بدون الوعي والإدراك- تصبح قوانين المادة غير العاقلة، وغير المدرِكة لجمال محبة الله. وإن كان الله في النهاية يفتح المادة على هذا الإدراك بشكل سريٍّ لا يمكن التعبير عنه، وهو ما جعل الرسول يكتفي بالكلام عن مخاض ميلاد الكون كله (رو ٨: ٢٢).

إذا عُدنا إلى الأصل، أي المسيح والكنيسة، استطعنا أن ندرك لماذا نتناول أكثر من مرة، **رغم أن اتحادنا بالمسيح هو اتحادٌ أبديٌّ لا يمكن أن يتوقف، ولا يمكن أن يهدده الانقسام. لكنه أيضاً لا يبقى اتحاداً إلا برغبة كل الأطراف، أي المسيح والمؤمنين.** فالذين يرفضون هذا الاتحاد لا يمكنهم البقاء، ولا يرغم المسيحُ أحداً على أن يكون عضواً في جسده، فهذا أصلاً ضد قاعدة المحبة التي تقف عليها حرية الاختيار، وتمارِس بشكلٍ واعٍ مسئوليتها، لذلك يعود المسيح إلينا ونعود نحن إليه في الإفخارستيا. هو يطلب الكنيسة بقوله: "اصنعوا هذا لذكري"، ونحن نطلبه بقولنا: "إلى مَن نذهب يا رب وكلام الحياة الأبدية هو عندك"، هو يأتي إلينا حسب وعده:

"إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمي، فهناك أكون في وسطهم"، ونحن نأتي إليه لأننا أعضاء جسده. **وهنا الاتحاد على مستوى الطبيعة قائم. نحن واحد معه في الناسوت، فهو آدم الثاني الذي يشبه آدم الأوَّل كثيراً، ولكنه لا يُشبهه في قوة الحياة، ومجد القيامة من الأموات**. ويمكننا أن نرى بكل وضوح أن الابن الذي تجسد وصار ابن الإنسان، لا ينفع غير المؤمنين بشيء إلا عندما يعودون إليه بالإيمان. هو ابنُ إنسانٍ، أو أبن آدم مثل كل أولاد آدم، ولكن هذا لا يفيد إلا الذين يأتون إليه. وعندما يأتون إليه، تصبح وحدهم الطبيعية وانتمائهم إلى الإنسانية هي قاعدة العلاقة مع المسيح. ولكن ماذا يحدث بعد العودة إلى المسيح والاشتراك في حياته؟

هنا يتم الزواج الإلهي بنا. نصبح واحداً معه، ويصبح واحداً فينا. وهو ونحن جسد واحد، وليس جسدين أو أكثر. لكن هذه الوحدة ليست وحدة طبيعية فقط، بل وحدة حياة، فالجسد بكل ما فيه لا يفيد شئياً، فبدون الروح، وبدون الوعي والإدراك، وبدون المحبة، يظل الجسدُ جسداً. أمَّا في المحبة، فيصبح ذلك الجسد شركة وتجلٍّ لمجد ومحبة الله.

لقد عانق يهوذا الرب وقَبَّلَه، وكان عناق الخيانة وقبلة الغش. فالاقتراب من الجسد لا يفيد بالمرة، بل أحياناً يكون للدمار والهلاك، والتصاق جسدٍ وجسدٍ لا يفيد، ذلك أن الالتصاق موجودٌ أصلاً، ولكنه يأخذ شكل الاستيلاء والأنانية، ويصبح تعبيراً عن فساد الخطية وقسوهما، **ولذلك السبب قال الرسول: إن كل مَن التصق بزانيةٍ "فهو جسد واحد"، دون أن يعني أن هذا الاتحاد مثل اتحاد الزيجة، بل البقاء في أسر وعبودية قانون الطبيعة الإنسانية القائم على اتحاد الكل في آدم الأول**. وكل الذين يطلبون مثل هذه العلاقة تضيع عليهم الفرصة لاكتشاف ما هو أفضل وأعمق من مجرد الالتصاق بجسد واحد، أي الوحدة الزوجية التي عاد الرسول بولس يقول عنها: "أمَّا مَن التصق بالرب فهو روحٌ واحد"، أي "حياة واحدة"، "المسيح يحيا فيَّ". ولذلك السبب بعينه حرص الرسول على القول بأننا عندما ننضم إلى جسد المسيح الواحد، فإن الذي يفعل ذلك هو الروح الواحد "بروحٍ واحدٍ اعتمدنا إلى جسدٍ واحد"(١كو

١٢: ١٣)، ونحن لا ننضم إلى الجسد الواحد إلا بالمعمودية؛ لأن شريعة البقاء في جسد المسيح -كأعضاء- هي شريعة الصليب والقيامة، أي المشاركة في آلام الرب منتظرين مجده الإلهي الذي يوهَب لنا. أمَّا الحياة في الجسد الواحد، أي الكنسية، فإنها تؤخذ من الروح الواحد الذي يسقي الكنيسة الحياة الواحدة "وجميعنا سُقينا روحاً واحداً"(١كو ١٢: ١٣).

هذا كله يؤكِّد لنا بشكلٍ واضحٍ لا يمكن فهمه إلا في إطار المحبة، إنَّ الوحدة التي نسعى إليها جميعاً هي وحدة روحية؛ لأن البقاء في عضويتنا في الكنيسة جسد المسيح، هو سر وحدة Mystery Of Union وليس العودة إلى وحدة طبيعية، لم يستطع آدم وحواء الاحتفاظ بها، بل سرعان ما انهارت بسبب الغواية وبسبب ما أضافته الخطية إلى الطبيعة الإنسانية من حب الذات الذي تأصَّل في الإنسان بسبب الموت وبسبب ظن الإنسان أن الحرص على حياته هو وحده الذي يدفع عنه خطر الموت. لذلك السبب، **صار من الواضح أن عودة الإنسان إلى الحياة بالمسيح وعودته إلى الاتحاد بغيره من المؤمنين، أي الكنيسة، ليست قانوناً حتمياً من قوانين الطبيعة، بل سعيٌ حثيثٌ دائمٌ نحو الوحدة؛ لأن هذه الوحدة تأخذ بدايتها من الثالوث، وقوتها من التجسد، ودوامها من الروح القدس، وتظل في حركة دائمة نحو الكمال.**

عندما يتزوج رجلٌ وامرأة، فإن الوحدة التي تبدأ، وفي حالات القداسة، لا تزول إلا بالموت حسب تعليم الآباء الرسل. ولكن هذه الوحدة تظل في حاجةٍ إلى النمو، وتظل ساعيةً نحو الكمال، هذا الكمال هو اكتشاف أعماق المحبة، وهو اكتشافٌ لا يتحقق إلا في ضوء المداومة على الوحدة.

لقد صار الكلام عن الشركة نادراً إلى الحد الذي يتعذَّر علينا فيه أن نجد مَن يؤمن بأسرار الشركة. هذه الأسرار قائمةٌ على اشتراك اثنين. واشتراكُ اثنين معناه اجتماعُ إرادتين في وحدة حياة. ولا يقلل من ذلك، الكلام عن وحدة الإرادة، فليست

الإرادة إلا ثمر حياة، والذين يتكلمون عن شركة في العمل[١] لا يدركون إن العمل هو خلاصة الحياة، وبالتالي الشركة في العمل هي ثمرةُ اتحادٍ، وليس العكس. ومثال هذا هو كلام الرب نفسه: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل"، فهي شركة في العمل نابعة من شركة في الجوهر. وعلى نفس المثال، نشترك نحن في عملٍ واحد؛ لأننا من ذات جوهر المسيح (١كو ١٢: ١٢). **وشركتنا مع المسيح، ليست سوى شركة المسيح في حياتنا الإنسانية التي أخذها منَّا عندما صار واحداً معنا. نحن نشترك في حياته، كما سبق واشتركنا في حياة آدم الأول التي جلبت علينا الموت والفساد** (رو **٨: ٢١**)، **لكن شركتنا مع آدم هي شركة في الطبيعة مطلوبٌ منها أن ترتفع إلى شركة إرادة، ووحدة عمل. ولأننا واحدٌ مع المسيح، لا نستطيع أن نميِّز على المستوى الجسدي بيننا وبين المسيح، وهذا هو معنى عبارة "جسد واحد"، ولكن المطلوب أن نميِّز على المستوى الروحي بين المسيح مصدر الحياة، وبيننا نحن الأوعية الفارغة التي تصب فيها حياة المسيح.**

لقد ظنَّ بعضُ حكماء هذا الدهر أنهم بسؤالٍ واحدٍ يمكنهم القضاء على الإفخارستيا تماماً، عندما قالوا: كيف يوجد جسد المسيح على المذابح المتعددة في كل الكنائس في وقت واحد؟ وإجابة بعض حكماء هذا الدهر كانت أفدح، لأن البعض صوَّر الجسد مثل مرآة كُسِرت إلى عدة مرايا، وكل شفرة منها، هي مرآة. **لكن الواقع هو أن الجسد موجودٌ على المستوى الطبيعي، أمَّا ما نحصل عليه، فهو الحياة والشركة.** وكما أنهما جسد واحد، حتى وإن ذهب كل منهما إلى بلد بعيد، ولا حاجة للبحث عن وحدة الجسد، إلاَّ أن اجتماعهما معاً، هو الذي يحقق الوحدة.

ومن أسرار الشركة أيضاً أننا يجب أن نكون على وعي بأن الشركة لا تنمو مطلقاً إلا على أرض الحرية والاختيار الحُر وحده، الذي يحقق الوحدة. ولكن عندما تتحقق الوحدة، فإن الحرية لا تختفي، بل تظل تمارس دورها في قبول الشريك أو

---

(١) "اشترك في العمل مع عبيدك في كل عملٍ صالحٍ"، أوشية المسافرين.

الاخر. هذه الممارسة يُعبِّر عنها اللقاء المتكرر، وعندما يلتقي الرجل والمرأة معاً، فإنهما لا يتزوجان من جديد، فالزواج قد حدث، ولكن اللقاء يكون تجديداً للمحبة ودواماً للشركة. هذا يحدث لأن الرجل ينشغل بعمله اليومي كما تنشغل المرأة أيضاً بعملها اليومي، ويصبح من الضروري أن يعود كل منهما ويتفرغ للآخر لئلا يُبدد الانشغال الوحدة القائمة بينهما.

وعلى نفس المثال، نحن لا نستطيع أن نمتنع عن لقاء المسيح في الإفخارستيا، ليس بسبب الضعف الروحي، بل لأن كلَّ مرةٍ نتناول من جسده ودمه "نخبر بموت الرب إلى أن يجئ". هذا يعني بالدرجة الأولى، **أن كلَّ لقاءٍ معه في السر المجيد، هو إدراكٌ لما أخذناه معه، ولِما قبلناه مع الكنيسة.**

وتماماً كما يكتشف الرجل في زوجته أعماقاً جديدةً وحياةً وفرحاً جديداً، هو ليس اكتشافاً غريباً، بل امتداد لِما سبق وحدث، هكذا نحن أيضاً نكتشف ما نلناه في المعمودية، وما أخذناه من أسرار الكلمة في الوعظ، وما نعيشه معاً كجماعةٍ لها قلب واحد. وعندما يتحقق كل هذا فينا، فإن وحدتنا تكون قد صارت فعَّالةً.

الوحدة تتكون في الزيجة، وباستمرار تعبُر الوحدةُ سائرةٌ إلى ما هي عليه. هذا هو جوهر الشركة. فإن الوحدة لا يمكن أن تتوقف عند نقطة البدء، ولا يمكن أن تتجمد عند مستوى معين، بل هي دائماً تصير ودائماً تسير نحو ما بدأت فيه. ولعلنا من الناحية الفلسفية البحتة ندرك أن نقطة البدء والنهاية هما واحد، لأن الألف والياء، البداية والنهاية هما واحد، هو يسوع المسيح الذي به صارت الوحدة بين الرجل والمرأة، وبين الله والكنيسة ممكنة، بل محقَّقة.

إن المجال لا يتسع للكلام عن آثار التجسد، وهي الآثار الظاهرة في تكوين الإنسان الجديد في المسيح. فهذا الإنسان يعرف أنه سوف يصل إلى ما بدأ منه. وهذه هي قوة وثبات الحياة الجديدة، فهي عكس الحياة القديمة، تلك التي تريد أن تصل إلى أي شيء، وتطلب ما هو مستحيل، مثل "التشبُّه بالله" دون أن تعرف ما هو التشبُّه

بالله (تك ٣)، وتسعى نحو كل جديد، وتطرح القديم تماماً؛ لأن الموت جعل ظِل الجديد نوعاً من العزاء أو الهروب منه. وما القلق والقرف الذي يصيب الإنسان من القديم، سوى إحساسٌ دفين بأن الحياة منتهية، وبأن الجديد هو عودة للحياة.

كل هذا زائفٌ ولا قيمة له.

أمَّا عندما تجسد ابن الله وردَّ الإنسانية إلى الله فيه، فقد صار هو الرأس الذي لا يمكن رفضه؛ لأن رفضه معناه الموت، ولكن البقاء على صلةٍ بالرأس معناه على الأقل أثناء حياتنا على الأرض، هو أن نرفض كل مقاييس الحياة القديمة القائمة على العصيان والتمرد، وطلب إرضاء الذات، ومِن طلب إرضاء الذات، تنبع كل رغبات الإنسان في الجديد. لكن عندما صارت نقطة البدء، هي النهاية أيضاً بسبب مجيء "الألف والياء"، صار من الواضح إن الإنسان لا يمكنه أن يعيش مع الله إلا إذا قَبِلَ الله كما هو، أي "الألف والياء"، أي أن يرضى به وحده كمصدر للحياة؛ لأن البحث عن مصدر آخر للحياة غير الله لم يكن سوى السقوط، وهو ما نراه في حياتنا اليومية أينما كان.

لقد تكلمت عن اتحاد الرجل والمرأة، ولكن كما نرى كان الكلام عن اتحاد المسيح والكنيسة، فالتداخل حتمي بسبب العلاقة الوثيقة التي اختارها الرب نفسه. هذه العلاقة لا تسمح لنا إلا بأن نكون على يقين من **أن إدراك سر المسيح والكنيسة، هو إدراكٌ لإسرار الشركة بين الرجل والمرأة.**

لماذا يليق بنا أن نمتنع عن العلاقات الزوجية قبل التناول؟

إن هذا الأمر معروفٌ للكاملين، **فليست هذه العلاقة نجاسةً، ولا هي تكرارٌ لخطيئة آدم مع حواء. كل هذه الخرافات باطلةٌ تماماً؛ لأن الربَّ لا يأخذ إطار الخطية، أي العلاقة بين الرجل والمرأة، ويجعلها تحيا في ظل اتحاده بالكنيسة.** وكان من اللائق بالرسول بولس أن يبحث عن تشبيهٍ آخر غير الزواج للدلالة على عمق

وقوة اتحاد الكنيسة بالمسيح. ولولا أنه موضوعٌ واحد، لَمَا تـداخلت قصـة الخلـق والزواج الأول بين آدم وحواء، واتحاد الله الكلمة بالكنيسة في زيجة أبدية.

وهناك زاويةٌ أُخرى هامة لا تقل أهمية عن الزاوية التي نحن بصددها، وهي أن الكنيسة لا تتكلم مطلقاً عن المعاشرات الزوجية بعد التناول، وهو ما يؤكد فساد تعليم الغنوسية واتباع ماني، لاسيما المعاصرون لنا. ولا يجب إضاعة الوقت في الـردِّ علـى تفاهات وأضاليل الهراطقة، يكفي أن نقول بكل وضوح إن مَن يقولـون إن العلاقـة الجنسية بين آدم وحواء هي السقوط، لا يفهمون على الإطلاق حقيقة السـقوط، ولم يعرفوا بعد ما هي الخطيئة التي جعلت الإنسان يترك الشـركة مـع الله ويتحـوَّل إلى الموت.

إن الامتناع عن المعاشرات الزوجية هو جزءٌ جوهريٌّ من آداب مائدة الرب. فالذين يجلسون إلى مائدة المسيح هم الذين يرغبون في الاتكاء معه وقبـول أسـراره الإلهية. ولا يوجد أي دليل بالمرة على أن هناك استعدادٌ معيَّنٌ، ذلك أن كل نفس، إنما تقبل المسيح على قدر استعدادها، فكل إنسانٍ يستعد على قدر طاقته. وحتى الصـوم، لا يوجد قانونٌ واحدٌ يحدد فترة الصوم، ولكن ساد الرأي الطبي المعروف في الطـب القديم بأن المعدة تخلو من الطعام في مدة تسع ساعات. وطبعاً لا نحتاج أن نقـول إن الطب الحديث لا يقبل هذا الرأي بالمرة. وما التفسير الرمزي الذي شاع في العصـور الوسطى بأن التسع ساعات هي فترة حَبَل العذراء بالمسيح، إلا محاولةٌ تعسفية، ذلك إن الحَبَل لا يقتضي الصوم، ولا يوجد أدنى علاقة بين الحَبَل بالرب يسوع، وقبول المسيح. ذلك أن المسيح، إنما نقبله في أرواحنا وأجسادنا، وهو ليس طفلاً أو جنينـاً يحـل في الأحشاء مثلما حلَّ في أحشاء العذراء مريم. ولعله من أجل هذه التصورات وغيرهـا قال الرسول بولس: "إن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسـد، لكـن الآن لا نعرفـه حسب الجسد". كل هذه التفسيرات، إنما هي تفوّت الفرصة علينا لإدراك آداب مائدة المسيح. **لقد كان حرص القدماء على أن يكون المتناول صائماً يعني في آداب مائدة المسيح أن يأتي بجوع النفس والجسد إلى خبز الحياة. فهذا الجوع وحده هو الـذي**

يعطي المتناول الفرصة للاستعداد للتناول. وطبعاً، إن صوم الجسد بالامتناع عن الطعام سهل، ولكن صوم النفس الحقيقي، وهو جحد الذات، هو ما لا نتكلم عنه كثيراً، وصار قضيةً تدخل تحت باب الرهبنة أو الحياة النسكية الفائقة، بينما الأمر ليس كذلك بالمرة.

فجحد الذات هو الأساس المتين الذي قامت عليه دعوة الإنجيل لوراثة ملكوت الله، وهو العلاج الذي قدَّمه الرب يسوع الطبيب الحقيقي لكل إنسان يريد أن يكون تلميذاً له، ويسلك معه الطريق كله من بيت لحم إلى الصليب، حتى الصعود والجلوس عن يمين الآب، **فليس من سبيل لبلوغ الإنسان الحياة الحقيقية، إلاَّ بأن يترك حياته تماماً ويتخلى عنها. تلك الحياة التي يظن الإنسان أنه يملكها، والتي تفرض عليه السلوك الخاطئ، وهي ذاتها التي تجعله غريباً عن الله. بجحد الذات نحن نعود إلى قوة المعمودية الكامنة فينا، ونعود إلى الحياة الحقيقية التي تأتي من الله. وهذه هي حياة عدم الخطأ في صورتها الأولية.** مَن لا يخطئ؟ يقول الرسول: "المولود من الله"، وهو لا يخطئ لأن حياته ليست ملكاً له، ولا هي منه، أمَّا الذين يملكون حياتهم، هؤلاء يخطئون ويسقطون لكل شهوة أو فكرة. ومع جحد الذات تنمو المحبة الحقيقية، هذه المحبة لا يمكن أن تعيش إذا عاش الإنسان لذاته، وعلى هذا الأساس نفهم وصية الرب: "أحب قريبك مثل نفسك"، ليس لأن حب النفس هو مقياس محبة القريب، وإنما لأن جحد الذات صار أساس التلمذة، ومَن يجحد ذاته لذاته ضاعت منه، ومَن وجد ذاته في الآخرين، فهو الذي أحب قريبه كنفسهِ.

بسبب الموت تأصَّلت فينا المحبة الأنانية، وصارت مثل جذرٍ ضاربٍ في أعماق النفس، صار محركاً لكل تصرفات الإنسان وأعماله، يدعوه إلى أن يفعل كلَّ شيء، وكأنه هو وحده الذي يعيش في هذه الدنيا. ذلك لأن السقوط جعل الإنسان يظن أن حياته منه أو أنه ذاتي الحياة αυτοζοε - autozoe ، ولذلك يشد كل شيء نحو ذاته. هذا نوعٌ من محبة الذات إلى الحد الذي لا يسمح لأحد آخر بأي شيء، بما فيه الله نفسه. ولذلك، فإرضاء الذات، وإرضاء الله هو تناقضٌ مطلق لا يمكن حله إلا على

حساب الطرف الآخر. فكيف يمكن لَمن في هذه الحالة أن يحب قريبه وأن يحيا معه في شركة؟ هنا فقط يمكن أن نفهم معنى عبارة المسيح "احب قريبك كنفسك"، وهي أن تموت الذات تماماً لكي يمكن الوصول للقريب.

+ + +